تعابير حول الطبيعة الغاضبة لإثراء الإنتاج الكتابي

- الأرض قاحلة مشقّقة ممتدّة حتّى الأفق تخطب ودّ السّماء في تضرّع لتمطرها بقطرات من الماء تعيد إليها الحياة. فلطالما حلمت بأن تعود لها نظراتها فتنموا أعشابها، وتزهر ورودها، وتعمّرها العصافير.
- قطّبت السّماء وجهها وتلبّدت الغيوم في السّماء وانطلقت الرّياح تعبث بكلّ شيء تولول وتصفّر وتتنقّل في الشّوارع وبين البيوت تتوعّد وتتهدّد.
- تلبّدت السّماء بالغيوم ونزلت الأمطار كأفواه القرب ظننّاها سحابة عابرة لكنّها لم تنقشع ولم تزدد الأمطار إلاّ شدّة ولم يزدد الرّعد إلاّ قعقعة وقصفا حتّى لكأن الدّنيا مجنونة عاودتها نوبتها فهي تصرخ وتقفز وتمزّق ثوبها بيدها وتشقّ حنجرتها بصراخها وازداد الرّعد قرقعة وألهب البرق واستشرى وأغدقت السّماء وجادت وعصفت الرّيح وثارت وتدفّق السّيل يطيح بالأخضر واليابس.
- ثار جنون العاصفة مولولة ثائرة غاضبة ترمي بما يعترضها هنا وهناك دون شفقة ولا رحمة فخفت وعرفت له مثيلا في حياتي، ولا أعتقد أنّني سأرى مجدّدا الطّبيعة على هذا الوجه.
- ألقيت نظرة من خلال نافذة الفصل فإذا الأشجار تهتزّ اهتزازا عنيفا وإذا الأمطار كأفواه القرب وإذا السّاحة بركة متماوجة فانقبضت نفسي وتراجعت إلى الوراء متسائلا في حيرة: "كيف سأغادر هذا الفصل الدّافئ لأواجه ذاك الزمهرير الهائج؟".
- سمعنا قعقعة عظمى قد انبعثت من السّماء فاهتزّت الأرض لها، أسرعت إلى النّافذة فرأيت منظرا هائلا، انقلب كلّ شيء، وارتفع في الفضاء، تدبر به الرّياح وتقبل، تعلو به وتنزل مولولة غاضبة. وخيّل إليّ أنّ العاصفة لن تهدأ قبل أن تقضي على كلّ شيء وكنت وحيدا أترقّب عودة والديّ...
- سمعنا قعقعة عظمى قد انبعثت من جميع أرجاء البحر في آن واحد، فاهتزّت السّماء، وانقلب كلّ شيء عالي أسفله، وصاح الجميع "العاصفة". هنا رأيت منظرا هائلا، رأيت السّفينة ذرّة هائمة في ذلك الفضاء الفسيح، تقبل بها الرّياح وتدبر، وتعلو بها الأمواج وتنزل، ترتفع ارتفاع الجبال حتّى تكاد تلامس السّماء، وهي ترغي وتزيد، وأصبحت مقدّمة السّفينة ترتفع، ومؤخّرتها تهبط. علم ركّابها أنّ الهلاك أصبح على قاب قوسين منهم أو أدنى فذعروا وتهافتوا على سطحها يصيحون ويطلبون النّجدة.
- سرت في الشّارع المقفر مواجها ريحا عاتية تصفع وجهي وتلسع ساقي وتتسرّب تحت معطفي فيقشعرّ جلدي ويرتعش جسمي وتصطك أسناني فانطلق مهرولا حانيا ظهري دافنا رأسي بين كتفيّ ومن حين لآخر أخرج منديلا أمسح به أنفي وقد استحال نبعا لا ينضب ماؤه.
- حشدت الرّيح السّحب، فازدادت دكنة وانحطاطا شيئا فشيئا حتّى تدلّت نحو الأرض وهي تدوّي وتئنّ، ولمع البرق، وطنّ الرّعد طنينا، وأزّ أزيزا، وعوت الرّياح

www.najahni.tn

مختصمة فيما بينها، فقذفت بكلّ ما اعترضها، حينها اعتصرت السّحب وألأقت بما فيها على المنازل وكلّ من حولها أمطارا كأفواه القرب.

- ❖ انتابني الذّعر لمنظر الأشجار السّاقطة والجذوع المتهاوية والأغصان المتناثرة السّابحة في مياه السّيول الجارفة الملتفّة بالمنازل كأنّها حيّة قد أحكمت قبضتها بفريستها وهيّأت نفسها لابتلاعها.
- ❖ ازدادت العاصفة قساوة عندما هطل المطر وتساقط البرد يرجم الأشجار والأرض وأمل الفلاّحين وشقّت الأرض في صلب الأرض جداول تتدفّق ملتوية تجرف التّربة فتجرف معها الحياة استمرّت هذه العاصفة ساعة من الزّمن كانت أطول من الدّهر وأقسى من ضربات الفأس والمعول.
- ❖ خرجت من المدرسة في يوم من أيّام الشّتاء، وأخذت أمشي بخطى سريعة، غير مبال بالزّمهرير، لأنّي كنت أريد الوصول بسرعة إلى المنزل، ولمّا كنت في منتصف الطّريق، هبّت ريح عاصفة شديدة دوّت بها جوانب الأفق، وقعقعت لها قبّة السّماء، حتّى حسبتها توشك أن تنقضّ، وأخذت تجاذبني معطفي مجاذبة شديدة، كأنّها تأبى إلاّ أن تنزعه منّي، استمررت أدراجي، أتيامن معها تارة، وأتياسر أخرى، وأندفع متقدّما، وأكرّ راجعا، هدأت العاصفة قليلا، ولكنّها ما هدأت إلاّ لتفتح الطّريق إلى الغيث الهاطل، فلم تهدأ ثورتها حتّى ثار ثائره، وأخذ يتساقط سقوطا شديدا، فابتلّ معطفي، ومشت الرّعدة في جميع أعضائي. ولكنّي تجلّدت، وقاومت، وغالبت الطّبيعة، حتّى وصلت، ولكنّي لم أصل إلاّ بعد وقت طويل.
- ❖ غمرت الظّلمة الكون، وبدأت الأمطار تنهمر بغزارة، والعواصف تصفّر، وتتسارع، فترتعش لهولها الأشجار، وتتململ أمامها الأرض، اختبأ النّاس والحيوانات، ولم يبق سواها تخطب على مسامع العمارات، والمنازل.
- ❖ في فصل الخريف الشّمس خجولة والهواء لطيف أوراق الأشجار الصّفراء تتساقط وتتطاير في الفضاء الرّحب كتطاير العبرات، ثمّ تتكدّسن وتتراكم على الأرض.
- ❖ كانت السّحب كثيرا ما تتكاثف فوق الجبال، ثمّ تسقط أمطار تمدّ الوادي بالحياة، وتسيل فيه بقوّة. وكثيرا ما حدث أن فاض الوادي وأصاب القرية المجاورة الموجودة في مكان منخفض بفيضاناته.
- ❖ رمينا إلى بعضنا بحبال تعيق جرّ الماء لأمتعة النّاس، وسارت الأمور على أحسن وجه، وأخيرا بدأ الفيضان ينحبس.

www.najahni.tn